الأدب العربي الحديث بين الأزمة والتقدم

بقلم رينيه حبشي

لقد اخترتم لمحاضرة اليوم رجلاً مجهولاً في محيط الادب العربي لا يعدو ان يكون واحداً من هؤلاء المشتغلين بالفلسفة ، فاسمحوا لي ان احملكم تبعة اختياركم .

وكم كنت اتهيب الكلام في هذا الحفل الذي يشرفني بالاستماع الي ، وما اجدره من حفل يثير الهيبة في اقوى النفوس رباطة جأش واملكها لموضوعها ؛ وانه لما يطمئنني هذه الحكمة اللاتينية التي تقول ان قدر الكلام بقدر مستمعيه ، واذا كان الامر كذلك فليس لدي شك باني سأعرض عليكم خواطر لها نصيبها العظيم من الاهمية، ولن يكون مصدر هذه الاهمية الفاظي العاجزة المقصرة ولكن ضوء النجوم التي احتشدت تسطع في الافق المحيط بي .

لقد حداني منذ بضعة اشهر اكثر من سبب الى حب المفكرين اللبنانيين واحترامهم وتقديرهم ، ولكني اليوم عاجز عن التعبير عن هذه الاسباب ؛ غير ان هناك سبباً واحداً من المفيد ان ابسطه ، اذ لا مناص من ذكر هذه الكلمات ، وهي من اقوى ما سمعت هذا العام جرأة وادراكاً لحقائق الامور ، هذه الكلمات التي قالها صاحب فكرة هذا المؤتمر ومنظمه ، هذا الشاعر اللبناني الذي اجتمعت فيه رقة الشاعرية وعمق التفكير ،والذي القى علينا في اثناء زيارته للقاهرة هذا العام هذه الحكمة الثمينة .

« نعم ان مشاكلنا هي مشاكل الانسانية ومعضلاتها. واذا كنا نشعر في هذا الشرق ان بعض العالم يحاول استعبادنا فلأننا قد عزلنا انفسنا عن العالم وتركناه يحاول وحده حل مشاكله – لنتجرد عن مشاغلنا الخاصة ولنتناس عداواتنا فلا نفرق بيننا وبينه بل لنتبن مشاكله ونشعر بالنتيجة اننا متضامنون معه ومسؤولون عن الانسان غربياً كان ام شرقياً، مسؤولون ربما اكثر من غيرنا ، وعندئذ تنحل مشاكلنا الخاصة من تلقائها بما نكون قد فرضنا انفسنا على العالم لا كأعداء لاحد بل كاصدقاء وكرفقاء مصير كما هي الحقيقة »

وتبدو لي نفاسة هذه الكلمات ، اذ من الصحيح ان اصعب المشاكل تأتي من الانطواء على انفسنا ، وان من وسائل حلها الا نرضى بحبس انفسنا في حدودها وان نفلت من هذه الحدود بان نتساءل : ما الذي ينتظره غيرنا منا وكيف يمكننا ان نفيد غيرنا وينتفع العالم منا ؟

ونحن نعلم من التاريخ ان الشرق ليس دون الغرب في مسؤوليته عن الانسان ؛ ويخبرنا هذا التاريخ ان الحضارة قد اندفعت اندفاعها الاول من الشرق حيث تشرق الشمس ،وان هذه الحضارة مهددة بالزوال في الغرب حيث تغيب الشمس،ولكنه يخبرنا ايضاً ان الغرب. بعد ان تمخض عن هذا الشبح المرعب – شبح عالم الآلة الذي يهدد الانسان بالدمار – هذا الغرب يتحول نحو الشرق ينتظر منه رداً لقلقه القتال .

ولا اعتقد ان الباعث على اهتمام الغرب بالشرق اسباب سياسية واقتصادية محضة ، اي اسباب يمكن ان نسميها انانية . نعم ان هذه الاسباب موجودة بلا شك ،ولكن علينا ان نتبين فيما ايضا ، كما يفعل الطبيب النفساني ، شعوراً بالنقص والبحث عن التعاون . وقد تستر الكبرياء اعمق الدوافع التي تسيرنا ، الا انه يتضح بكل جلاء لمن ينعم النظر في اعمال مفكري الغرب منذ بضع سنوات ان هناك وسط التيارات الاقتصادية والسياسية سعياً حثيثاً لفهم الرجل الشرقي والقيم الشرقية ، وللنفاذ الى اسرار عالم روحي وعقلي شرقي . ولن تبلغ بي السذاجة بالطبع الى القول ان الغرب يريد ان يصبح شرقياً ، اذ في هذا كل الخطر له ولنا في نفس الحين . ولكن الذي اعنيه انه يبحث عندنا ، وقد يكون ذلك عن غير قصد ، يبحث عن القيم التي يحتاج اليها لاتمام اتزانه وليهرب من هاوية الفردية التي ينزلق اليها، انزلاقاً سريعاً ،عالمه القائم على الآلة .

تأملوا نجاح الفلسفة الهندية والبحوث في أعمال آباء الكنيسة الشرقيين والدراسات الاسلامية الحديثة والمحاولات المختلفة لفهم الحياة الدينية والتصوف في الشرق ، وذلك لا اعتماداً على مقاييس غربية ولكن في البيئة الثقافية والتاريخية الشرقية نفسها .

وان اقتصرت هنا على ذكر اسم رينيه جينون « René Guénon » فانما ذلك لكثرة من يجدر ذكرهم في هذا المقام . تأملوا كل هذا تشعروا بالحاجة الماسة الى موافاة الغرب برسالتنا . فاتزان العالم يتطلب ان نضيف ثقل الشرق الى الميزان العالمي .

وانكم لتدركون منذ الان الاتجاه الرئيسي لمحاضرتي : انه موقف ترحيب وانفتاح للغير بغية انماء طابعنا الذاتي بتقديم اشد ما في تراثنا اصالة ، وباستقبال كل مساهمة خارجية تنمي شخصيتنا . ويمكنني ان اقول ان هذا الموقف موقف لبناني في جوهره، اذا لاحظنا ان لبنان قد اختار لنفسه ان يكون همزة وصل بين الشرق والغرب ، وانه ايضاً موقف مصري اذا تذكرنا انه عندما نتحدث في مصر عن دلتا النيل أو بكلام ابسط عن الدلتا، فاننا نعرف ان النيل منبعه جنوب السودان وان الدلتا التي تشير اليه هي احدى حروف الابجدية اليونانية .

★

قوى الجاذبية الشرقية

وإنني فيما يخصني ارى بوضوح ما يكمن في الشرق من اسباب جاذبية تلفت اليه غيره ، واذا تكلمت عنها فليس ذلك تهدئة واسكاتاً لقلقنا بامتداح كاذب ،ولكن لابحث معكم العوامل التي يقتضي علينا تقويتها في ثقافتنا ، ولأبين كيف تحمل هذه الميزات في طياتها

مضاراً قتالة اذا لم نفكر في تعزيزها وتوجيهها، ولا تزال الفرصة تسمح بذلك ، فاما ان يتم هذا اليوم والا لن يتم ابداً .

وتسعني الاشارة الى هذه العوامل التي تكوّن قوة جاذبيتنا بالاربع المسائل التالية على ان افسرها فيما بعد . وهي جديرة بدراسة اعمق ازمع القيام بها في خلال هذا العام . ١) واولى هذه المسائل هي صلة الانسان بالكون ٢) ثم الحس الجماعي ٣) النزعة الدينية ٤) واخيراً تأتي النقطة الرابعة نتيجة للثلاث السابقة ، وهي مقياس الرجل الشرقي . والعوامل الاربعة هذه قوى قد تنقلب الى ضعف لاسباب لعلكم فطنتم منذ الان اليها .

لنعد اليها الآن واحدة واحدة .

صلة الانسان بالكون

١ — ان ما اعني بصلة الانسان بالكون يمكن فهمه بسهولة اذا فكرنا في اضرار النمو الفاحش للآلية في الغرب ، واقول النمو الفاحش لان الآلية ككل تقدم عقلي خير في ذاتها وانما تبعث الضعف اذا اسيء استعمالها . فعلى حين ان الالية فرقت بين الرجل الغربي والطبيعة بان اقامت بينهما حاجز الالة بل وفصلت الانسان بتقسيم العمل بحيث اصبح الرجل الغربي يدور كعجلة مطلقة لا تدري كيف تدور ولِمَ تدور ، فان انعدام الالية في الشرق قد ابقى الانسان اقرب الى الطبيعة وعلى اتصال بقوى الكون ، اي بالتوازن الطبيعي الذي ينبعث عنها ، وايضاً بالاتزان والشاعرية اللذين يرافقانها . هناك لدى الشرقي شعور بالامان والطمأنينة مبعثه انه لا يزال متحكماً في عمله ، فهذا العمل اضيق تأثيراً ولكنه مبعث أمان اقوى .

نعم لقد شاهد الشرقي بلا شك قوى الطبيعة تثور ، إلا انه يرى ان للكوارث التي تسببها هذه الطبيعة معنى خاصاً وهي توافق غاية عامة لهذه الطبيعة . ولكن الهامّ في كل ذلك ان الشرقي لم يثر هو بنفسه قوى جنونية يعجز عن مراقبتها والسيطرة عليها ، فهو لم يشعر بقوى تنقلب ضد الانسان تطغى عليه كما يطرح الجواد الاصيل الفارسَ الذي افلت زمامه من يده ، وهذا يهب الشرق استقراراً مطمئناً وتفاؤلاً ، فهو ينظر الى المستقبل كأنه طريق مفتوح امامه الى نصر محقق ، وبتعبير آخر ان الشرقي يثق بالكون وبنفسه بينما يلفع الامر بالغربي ان يحترز من العالم ومن نفسه .

الرابطة الجماعية

٢ — اما قوة الجاذبية الثانية فهي الرابطة الجماعية العربية ، هذه الرابطة التي يبدو انها تتغلب على عدد لا بأس به من العوائق السياسية والتي تجعل العربي او الشرقي يحس بالرغم من مشاحنات الحياة ان شرقيا آخر اقرب اليه — حتى ولو كان عدواً — من غربي اعمق صداقة له . وقد درس اخيراً احد الفلاسفة العوامل الاجتماعية والدينية التي تربط افراد الجماعة الاسلامية والتي نطلق عليها هذه الكلمة الغنية بالمعاني — كلمة الامة — إنها ضرب من الوطن الديني والمشاركة في الاصل سابقة للطبيعة وللغة قد استقرت عميقة في القلب والغريزة ، ولكنها تسبق القلب والغريزة ، وتنبىء باخوة ميتافيزيقية (فوق طبيعية) تمتد الى الحياة الاخرة .

اي ان الشرق شرقنا ، حيال الغرب المنقسم على نفسه بسبب تفوقه في عالم الآلة ومنافساته السياسية والاقتصادية ، لايزال له جبهة على حظ وافر من الاتحاد يتمتع بتكاتف لا يعبر عنه بعد الا تعبيراً يسيراً ، الا أننا نشعر بانه ممكن ، وبانه كامن بين طيات القلوب على استعداد ليهبّ من سُباته ، وهذا عنصر ثان للقوة والأمان يقابل بديهياً روح التفرقة في الغرب .

النزعة الدينية

٣ — والعنصر الثالث هو النزعة الدينية . يقولون ان الشرق متدين بطبعه ، ولست على يقين انه سيحافظ لوقت طويل على توثبه الديني بصورته الحالية ، بل انني اتساءل فيما يخص بعض الجماعات سؤالاً ابسط ، وهو إن كان هذا التوثب سيبقى حياً فيها . وعلى كل فمن المحقق ، اذا بقينا على الصعيد العام ، ان الاديان في الشرق شبيهة بقوة طبيعية تصل الانسان بالله ، ولا تزال الى اليوم اقرب الى ضرب من الغريزة الاساسية منها الى حركة نحس بها ونخضعها للتفكير العقلي . هنا قوتها وهنا ايضاً موطن ضعفها . وهي حتى الآن لا تزال قوة امام الغرب الذي بلغ به الامر ، حين أعجزه التوفيق الا بصعوبة بين الله والحضارة وبين النظام الزمني للبلاد الدينية والعدالة الاجتماعية ، ان احسّ مع ماركس ونيتشه وفريق من اصحاب التيار الوجودي الحالي بالحاجة الى انكار الله ليحرر ، كما زعم بعضهم ، تقدم الحضارة والعدالة . وهكذا بينما يحس الغربي كانه يتيم من جهة الله ، لايزال الشرقي متصلا بالله ، او على الاقل يحس بثقة مبعثها الشعور بأنه حارس .

مقياس الانسان

٤ — والعنصر الاخير الذي ينتج عن كل ما سبق هو مقياس ادق للانسان . فهناك عدم ارتياح غربي مصدره عزلة الانسان امام الطبيعة وانقسام الجماعة والتحرر الديني . وعدم الارتياح هذا يسبب وحدة داخلية وانقطاعاً عن المعطيات المكانية والزمنية يجعل الانسان يحس انه غريب عن وسطه في هذا العالم . ومن هنا كان هذا الشعور باللاإدراكية وعدم التعقل الذي يسيطر على كل الادب الغربي الحالي والذي لا يمكن ان نجد له مقابلاً او بالاحرى مقابلا مطابقاً لدينا . وتفسير هذا سهل ، فالشرقي يحس انه على صداقة مع الطبيعة وعلى امان مع الله . ولاجمال كل ما سلف في كلمة قصيرة ، ان الشرقي في موضع انسب من الزمان والمكان ، إنه اكثر اماناً .

فليس ما هو اكثر ادهاشاً للرجل الغربي من ادراكنا للزمن اننا لا نحس بدقة حدوده وبسرعة مروره وبما ينتج عن ذلك من شعور بقرب انتهائه الا في اتصالاتنا بالغرب . فالوقت عندنا اكثر صفاء كأنه جزء من الابدية لا يحده حدود ، وانتم تعلمون اننا اذا تقابلنا لشأن من الشؤون لم نتناول الموضوع الا على عتبة الباب ساعة الوداع ، وانه من الصعب علينا التزام الدقة في المواعيد التي نضربها والآجال التي نحددها لتنفيذ عمل ، ونؤثر كأهل الريف ان نحدد فترات المقابلات او سواها بجزء كامل من النهار صباحه او مسائه بدلاً من دقيقة معينة ، ونحن بذلك نتحول عن الاصغاء الى دقات الساعة لنصغي الى دقات قلبنا . ايهما افضل ؟ من الخير الا تتسرعوا وتفضلوا النظرة الغربية ، الا انني في نفس الحين لن اقول ان النظرة الشرقية هي الفضلى . ان الزمن عند الغربيين اكثر ملاءمة للمنطق والحساب ، اما عند الشرقيين فهو اقرب الى الشعور ، ولكن الانسان لم يعرف قط بقلبه فقط او بعقله فقط ، وهو مكون من الاثنين معا . واذن فأن نقطة الضعف في وجهتي النظر هاتين ، انما سببها تفرقة ما كان يجب ان يبقى دائماً مجتمعاً .

وهل من حاجة الى الاضافة انه ينتج عن هذين الادراكين للزمن صورتان مختلفتان لفهم التاريخ ؟ وقد لاحظ منذ وقت قصير احد المؤرخين السوريين ، وهو وكيل عميد احدى الجامعات ، نقص فهم التاريخ في الشرق في حين اننا نرى على عكس ذلك مؤرخاً غربياً يتكلم عن « تعجل » للتاريخ ، وهذا الشعور الزائد بالزمن في الغرب مثل الشعور الناقص به في الشرق كلاهما ينتجان عن تفاعل ينقصه الاتزان .

ومهما يكن من امر ، فقد رأينا العوامل الاربعة التي تجعل للشرق جاذبيته . ان الشرقي يحس بالكون وطناً له ، الا عندما يصطدم بما تقيمه السياسة الخارجية في طريقه من عوائق ، في حين ان الغربي يحس بنفسه غريباً حتى وسط سياسته هو ، بل هو لا يحس بنفسه في وطنه حتى في صميم نفسه . انه لشعور مؤلم بالغربة عبرت عنه وجودية سارتر عندما قال : « يولد الانسان دون سبب ويعيش دون هدف ، ويموت صدفة » .

الساعة الخامسة والعشرون

أكان الكاتب الروائي فرجيل جورجيو Virgil Georghiu مؤلف « الساعة الخامسة والعشرون » الذي نقل اخيراً الى العربية بسوريا ، يفكر في ذلك عندما تنبأ بان الضوء سيأتي من الشرق ؟ وقد تركت روايته هذه التي الفها بعد الحرب اثراً عميقاً في الضائر الاوروبية . وقد اعتبر فيها ان الساعة بلغت الخامسة والعشرين لانها الساعة التي تلي آخر النهار والتي انعدم الامل فيها ولم يعد ينتظر منها شيء . وقد قمت بتحليل القصة في كتاب نشر في العام الماضي عنوانه « ايمكننا ان نسير التاريخ » وقد بدا لي ان كتاب جورجيو يستحق دراسة بسبب المسألتين الرئيسيتين اللتين ذكرتهما .

ان اول ما ينبيء به جورجيو في كتابه هو موت الغرب بسبب نمو الالية الفاحش فيه ، وما يسوده من عقلية ادارية يبقى فيها المسؤولون مجهولين ؛ وعندما يظن القارىء ان الساعة الخامسة والعشرين ، اي ساعة اليأس ، قد دقت نحس فجأة ببريق خاطف يلمع امام اعيننا اذ ينبئنا الكاتب بان الضوء قد يأتي من الشرق .

صدر حديثاً :

الجزء العاشر من سلسلة

كنوز القصص الانساني العالمي

طريق التبغ

للكاتب الاميركي الشهير آرسكين كالدويل

قصة انسانية خالدة تصور حياة المعذبين في الارض في ولاية جورجيا الاميركية . وقد بلغ ما بيع من نسخها نحواً من خمسة وعشرين مليون نسخة ، وأخرجت على الشاشة السينمائية ، ومثلت على مسارح نيويورك وباريس ولندن ، فاستمر عرضها عدة سنوات متواصلة من غير انقطاع ، كما ترجمت الى معظم لغات العالم الحية .

نقلها الى العربية الاستاذ

منير البعلبكي

الثمن ليرتان — دار العلم للملايين

من هو الشرقي الذي لا تهزه نشوة عندما يقرأ هذه الكلمات، ؟ فهانحن اولاء ، بعد ان زعمنا انفسنا الجزء الغافل في هذا العالم ، نجد الغير وكأنه ينتظر منا البعث . الا ان فرحتنا سرعان ما يتبعها شك. فكيف يمكننا ان نعين الغرب ، وما هي القيم التي يمكننا ان نمده بها ، وهل نحن وهذا الغرب على نفس المستوى من الثقافة ليمكننا ان نبادله ثروتنا ؟ وهكذا تظهر لنا نشوتنا مع قلقنا في نفس الحين ، وامكانياتنا الواسعة مع مواطن عجزنا المخيفة . ولكن أتكون رسالة الادباء غير التنبيه الى هذه المشاكل بحيث يفتحون امامنا منافذ جديدة للفكر وللحياة ؟

*

واذا اردنا ان ندرك كيف تغذت مواطن العجز فينا من روح مستحيلاتنا ذاتها بافسادها من الداخل وبتحويل كل من القوى التي كنا نتكلم عنها منذ لحظة الى ضعف ، كفى ان نسبر عمق الثقافة ، واليكم ما نحسه من مشاكلنا الاساسية . ان هذا التحليل سيطلعنا على عناصر تعرفونها دون شك ، وارجو المعذرة اذا كررتها هنا .

تحليل الثقافة ودرجاتها

ان كل ثقافة نتيجة لتعاون درجات المعرفة الاربع التجريبية والعلمية والفلسفية واللاهوتية . ولا تتقدم الثقافة تقدماً متوازناً الا عندما تسير هذه الدرجات الاربع في جبهة واحدة ، ولكنها تفقد توازنها عندما تنمو احدى هذه الدرجات على حساب الأخرى ، اذ ينجم عن ذلك نمو جزئي فاحش في احدى الدوائر مع تأخر في النمو العام .

وقد حدث عندنا منذ بضعة قرون، اي منذ القرن السادس للهجرة تقريباً المقابل للقرن الثالث عشر الميلادي ، ان المعارف التجريبية والدينية سبقت المعارف العلمية والفلسفية ، وكان من اثر هذا الانعدام في التوازن ان اضطربت جميع دوائر الثقافة والاداب والفنون ، فسببت هذا التأخر الذي نرجو ان يكون موقتاً والذي اخذنا نخرج منه . وسمته الاساسية هي أنه جعل ثروتنا تبطيء من سيرنا كأنها كنز قد يثقل علينا حمله .

ما الذي اعنيه بهذا النمو الفاحش وبهذا التوقف ؟ اذا كان لزاماً علي ان اتجنب البت في المسائل بلا تفسير ، فاسمحوا لي ان احلل درجات المعرفة الاربع لندرك النقطة التي زللنا فيها ، وارجو الا تلوموني اذا بدا مني قصر الاسلوب اختصاراً للوقت . واليكم النقط الاساسية .

المعرفة الخبرية

ان المعرفة في اولى درجاتها خبرية ، وهي حينئذ في مرحلة بدائية تتجه فيها جميع ملكات الانسان نحو مشاكل العيش اذ ما ينغيه الانسان في هذه الفترة هو التغلب على مصاعب البيئة ، واضعاف العداوة التي يواجهه بها الكون ، والخروج من حياة اجتماعية مضطربة تسودها الفوضى . والانسانية في اولى خطواتها امام امرين كالطفل الذي خرج الى عالم النور : اما ان توفق وتعرف كيف تتنفس ، واما ان يدركها الموت . ولهذا السبب كانت الخبرية متجهة الى النجاح، فاهملت الحقائق العقلية وخلطت بين الحقيقة والنجاح لسيطرة غريزة البقاء عليها ، وهي لشدة اهتمامها قبل كل شيء في صد القوى التي تقاومها ، لا تتردد في ان تلجأ الى الخرافات والشعوذة . فكهنة مصر القديمة ، وهم اصحاب الاسرار الرياضية والطبية الاولى ، لا يترددون في استعمال السحر . وشرع حمورابي ببابل على شدة دقته في بعض النقط كمسألة تحديد اتعاب الطبيب يقبل الحكم الاختياري . فيحكم مثلاً على المذنب بأن يلقى به في النهر ، فان نجا فهو برىء وان هلك فهو مستحق لما نزل به . وبالاجمال يمكن ان يقال ان البراءة تقدر بالنسبة الى فن السباحة او بالاحرى بالنسبة الى الحذاقة لا بالنسبة الى الحقيقة الداخلية . وهذا التصرف هو تماماً تصرف الخبرية . وهذه الخبرية هي خبرية رجل الجبال ورجل السهول على السواء ، وكانا خاضع لها في بعض شؤون حياتنا ، بل يمكن ان يقال اكثر من ذلك : ان كل اكتشاف علمي جديد لا بد له ان يجتاز فترة خبرية قبل ان يسيطر على براهينه الدقيقة ووسائله في التحقيق . والقانون الدولي يكاد يخرج اليوم من طور الخبرية . وفي هذا ما يكفي دليلاً لنقول ان الخبرية طور لا بد منه في كل ثقافة يجب الخروج منه الا انه لا يمكن الاستغناء عنه نهائياً .

المعرفة الموحاة

اما في الطرف الاخر من الثقافة فاننا نجد المعرفة الموحاة وهي درجة المعرفة الرابعة واتعمد ان اقابل بها الدرجة الاولى، وستعرفون السبب بعد قليل . فبينما الخبرية تحت عقلية فاللاهوت الموحى به فوق عقلي . واما الذين يعتبرون الوحي كسلاً عقلياً ومباءة للجهل فما اولاهم بالفهم ، وقد كنت اسهب في ذلك لو كان علي ان اتكلم عن صلة العقل بالايمان في الاسلام او النصرانية . ولكن ما يعنينا ان نفهم انه عندما يصل العقل الى البرهان على وجود الله برهاناً جلياً يتنبه ان وثبته الاخيرة قد تمت في حين ان النتيجة لا تزال هزيلة وتعد هذه الوثبة محاولة ضئيلة بالنسبة الى غرضها : الله.

وفي الواقع لا يكفي ان نثبت وجود الله بالعقل وحده ، بل يجب ان نعيش هذا الوجود . فرغبة الانسان ، اذا كان الله موجوداً ، هي ان يعرف شيئاً من طبيعته ، وان يتغذى به كهدف أعلى للمعرفة . ولكن الله اذا كان موجوداً فهو الذي لا يعرف ولا يسبر غوره ، وهو الذي لا يسمى والقابل لان تطلق عليه جميع الاسماء ، وهو المنعزل الاكبر . فهو موجود ونحن غير موجودين ،ولاوجود لنا الا بالنسبة لوجوده . هو موجود وجوداً بسيطاً كاملاً في آن واحد ، هو موجود وكل كلماتنا تسقط عاجزة كقشور جافة . بل واكثر من ذلك فهو ان كان يمكن ان يعرف لسقط الى مستوى المخلوق . الا انه يجب ان ندرك ان امتناع فهم الله هذا ليس مصدره الله نفسه بل نحن ، فان كانت فيه اسرار فانها ليست منه وهو في طبيعته ابسط وأكثر جلاء من ضوء عقلنا نفسه . ومصدر سره انما يأتي من حدودنا التي تفرض حوله منطقة ظلام . شأنه في ذلك شأن قصر بلوري شفاف لا يتجلى لنا اذا نظرنا فيه من ثقب مفتاح. ولكن بمقدار ما يتخلى العقل الانساني عن سننه التي هي حدوده، بهذا المقدار يسمه ان ينفذ الى السر فيشف الحجاب بين الله والعقل في ضوء المعرفة الباهر .

ولكن اذا كان الله لا نهائياً والانسان نهائياً فان هناك مثل هوة تفصل بينهما يعجز الانسان عن تخطيها، وليس له الا وسيلة واحدة للوصول الى الله وكنهه . ولما كان الانسان عاجزاً عن مد جسر بينه وبين الله فانه يبقى لله ان يمد الجسر بينه وبين الانسان ، وهذا هو ما نعرفه بالوحي . ان الوحي نجوى من الله الى الانسان لتصبح في نفس هذا الانسان خميرة نمو

وانه لأهم من ذلك فيما يخصنا ان نفهم ان الوحي لا يقتصر على كشف الله للانسان ، ولكنه يكشف ايضاً للانسان عن نفسه هو . فكل وحي حق كشف للانسان عن الانسان . وفي الواقع ، اننا ندرك صحته بما يبينه للانسان من امكانيات كامنة في نفسه وبما يطلعه عليه من جمال جميع قارات المادة ودوائر الحياة وبما يبينه له من متعة في مصاحبة اخيه الانسان ومن عذوبة يوفرها الانعزال في خلوة قلب آخر . ولا يقوم الوحي بدوره الا

عندما يصبح باعثاً على الحضارة والتقدم الدنيويين . اما اذا حاول ان يكبح الحيوية ويبقي الانسان متأخراً فلينا ان نقول اما انه باطل واما إن الانسان افسده . ان الوحي ينزل ليزيد نطاق العقل رجاحة لا ليقيم له التخوم ، وهو يبغي ان يشد عضد الانسان للعمل لا ان يجرد الانسان من الحضارة . هذا فيما يختص بدرجة المعرفة الرابعة .

العلم والفلسفة

وبين هذين الطرفين الاقصيين تقع منطقة واسعة مزدوجة هي العلم والفلسفة . ان التجريبية تحت عقلية والوحي فوق عقلي ، في حين ان العلم والفلسفة خاضعان لسلطان العقل — والعقل يضع قوتين موضع الصدارة هما اليقين العقلي فيما يتصل بالمعرفة ، والتقدير السابق للنتائج فيما يخص العمل . ويمكننا ان نلخص كل ذلك بكلمة على نصيب وافر من الروعة ، بالرغم من انها فقدت معناها لدى من لا يمارس مدلولها ، وهي كلمة الخطة او المنهج . والانضواء تحت لواء الخطة هو قبل كل شيء ان نعرف عم نتكلم مع تحديد عناصر المشكلة المعروضة ، وهو ايضاً البحث عن الحقيقة لذاتها دون تقديم الشعور او المصلحة عليها ، وهي اخيراً التعرف على هذه الحقيقة لا عن طريق نجاحها المباشر ولكن عن طريق الطابع الفريد الذي تفرض به نفسها على العقل دون ان تترك مجالاً للشك اي عن طريق اليقين . ويحس الفكر في لحظة اليقين ان ضوءاً ينيره ويأمره . واذا كان للمتصوفين ساعات وجد وللفنانين ساعات إلهام فان للعلماء والفلاسفة لحظات اليقين . انها لحظات ممتازة يصلون بها الى اقصى امانيهم اذ ان الكون يتحد فيها مع العقل في نقطة معينة . وانتم ترون من ذلك ان المنهج طريق صعب الا انه في نفس الحين حي لمن يطلب كشف الحقائق باستعمال قوى الفكر الطبيعية ، هذا الفكر الذي جعلت التجربة لتمده بغذائها والذي يمده الوحي بزيادة من الجراءة ، هذا الفكر الذي يصبح ، بعد ان يكون استمد قوته مما هو ادنى منه وارفع منه ، المحرك الحقيقي لتقدم الحضارة .

وقد تسألونني ما هو مجال العلم والفلسفة ؟ وانني مضطر الى الاجابة دون اسهاب ، انه وضع الانسان في موضعه من الكون بالنسبة الى الفكر والله ، واظهار المسلك الانساني ازاء كل هذه القيم ، وابراز صلات الانسان بالجماعات ، هذا فيما يختص بالفلسفة . اما العلم فمهمته تنظيم قوى الطبيعة والمجتمع في مصلحة الانسان . وقد يوضح ذلك مثل او مثلان .

ان اكتشاف الطاقة الذرية من عمل العالم ولكن على الفلسفة ان تحدد استعمالها وفقاً لمصلحة الانسان . واليكم مثلاً آخر . ان من مهمة الفيلسوف ان يؤكد كرامة الانسان والتساوي بين المواطنين ، ولكن تنظيم هذا التساوي في البلاد يقع على عاتق العالم .

هاتان هما اذن درجتا المعرفة المتوسطتان بين التجريبية والوحي ، وهما متوسطتان لان الانسان اذا اقتصر على التجريبية بقي في طور الطفولة بينما يدعوه الوحي الالهي إلى تجاوز نفسه ، ولكنه لا يتجاوز نفسه الا اذا تنبه الى نفسه والى الكون والجماعة . انه لا يتجاوز نفسه الا اذا بلغ فكره سن الرشد عن طريق العلم ، وادرك نموه التام عن طريق الفلسفة . ولنقلها مرة واحدة دون رجعة ، انه على العقل البشري ان يفتح بقوته طريق الكون والكلية وان يشيد صرح الحضارة . انه واجب يقع على عاتق العقل الانساني لا على عاتق التجريبية أو الوحي .

الثقافة وازمة الآداب العربية

واذا سألني احد مندهشاً : ما الصلة بين تعريف درجات المعرفة وبين حالة الآداب العربية ، اجبته انني لم اكف بصورة غير مباشرة عن التفكير في الآداب العربية . واما مباشرة ، فها هي المسألة التي تواجهنا : اذا كان في الثقافة العربية الحديثة معرفة تجريبية يمثلها الفلاح واهل الجبال والمدن الذين ورثوا بصورة مبهمة تركة اجدادهم البالغة الثراء ، وان كانت الثقافة العربية الحالية ثقافة دينية ، فهل نجد في هذه الحضارة رجال علم وفلسفة ؟ اذا كان الجواب نفياً ، واذا كانت درجات المعرفة الاربع حيوية للحضارة ، فسيولد انعدام الدرجتين المتوسطتين (أي الفلسفة والعلم) ، لاسباب لا ضرورة لذكرها هنا ، تيارات عميقة مضادة في نمونا الثقافي وفي العوامل الاربعة للجاذبية الشرقية التي سبق ان حللتها .

واننا قادمون على ادراك مصدر الداء ، ولكننا في نفس الحين نكاد ندرك منبع الحلول التي يطلبها ، وانني اظن ان على المفكرين والكتاب ان يتلاقوا في هذه الاعماق ليروا الموضوعات التي توحي بتقدم صحيح ، وتزيل في نفس الحين الموضوعات التي تخفي عدم جدواها تحت وهم ضرورة مقتضيات الساعة . ولا شك في ان المجددين من امثال جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ومن واصل مجهوده من امثال حسين

صدر حديثاً

جعفر بن محمد

دراسة شاملة عن الامام الصادق

بقلم

الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل

دار الشرق الجديد

توزيع المكتب التجاري — بيروت

هيكل وطه حسين واجهوا معضلاتنا في هذا المستوى من العمق. وينبغي ان اذكر قبل كل شيء ان انعدام العلم والفلسفة ، وهما الدرجتان المتوسطتان ، سيجعل الدرجتين الواقعتين بين طرفي درجات المعرفة ، وجهاً لوجه . ولكن اذا كانت التجريبية تحت عقلية واللاهوت فوق عقلي ، فان معنى ذلك التقاء الغريزة والايمان دون وساطة العقل الناقد . ولكن اذا كانت الغريزة قوة نافعة عندما يسيطر العقل عليها فانها تصبح قوة خبيثة مضرة اذا اتصلت اتصالاً مباشراً بالايمان ، لانها تتخذ اذ ذاك مظهراً مقدساً يكاد يعتبر ازلياً من الصعب قلقلته . وان كان الدين ايضاً قوة اذا اعتمد على العقل ، فان ضوء يخبو عندما يستمد حيويته فوق العقلية من جذور مغروسة غرساً مباشراً في الغريزة ، اذ ان الدين يستمد قوته من غير العقل ، فيجمد ويتخذ صورة التعصب او المحافظة التقليدية ، وهي في الواقع رفيق ملازم لتعصب الايمان . وبتعبير آخر ، تتخذ الغريزة علم الايمان شعاراً ويتذرع الدين بمصالح الغريزة فيوقعان معاهدة لقتل نشاط العقل ، إذ يدركه الخمود ، وينقد الفكر الناقد حدته وتكبل القيود الحرية ويدرك حينئذ الرجل المفكر ، الرجل الذي كان عليه ان يتحكم بقوى الغريزة بعد انماء ثروته بقوة الايمان (على الا يكون فاته ان ينير كلا من هاتين القوتين بنور عقله) اي الرجل الكامل الذي فرضت عليه انسانيته ان يشيد صرح الحضارة الكاملة ، هذا الرجل يدركه الفناء لان طرفي المعرفة انغلقا عليه ، وخنقاه .

★

سبل التقدم

وانكم تتعرفون بلا شك في هذا العرض التيارات العميقة التي اوقعنا فيها التاريخ منذ بضعة قرون ، والازمة التي تمخضت عن ذلك والتي يحاول مفكرو العرب الذين تمثلونهم هنا الخروج منها ، ويجب الا نتهيب وان نطلق على هذه الازمة اسمها الحقيقي ، فهي ازمة سياسية وازمة اقتصادية ، ولكنها قبل كل شيء ازمة ثقافية . ولا تبدأ تتجلى لنا وسائل العلاج الناجعة الا عندما يتوفر لنا من الشجاعة ما نواجهها به مواجهة شاملة . واذا كنا فهمنا الان هذا الجو الثقافي فيمكننا ان نتناول التفصيلات .

نموّ العلم واستعمال الآلة

لقد تحدثنا عن صلة الانسان بالطبيعة ، الا ان الطبيعة خلقت ليكتشفها الانسان ، فيهذبها لا في مصلحة قارة واحدة او طبقة بعينها . وان كان العلم وتطبيقه الفني ضاعفا من انتاج الطبيعة ، فالسبب في ذلك هو ان الآلة انبعثت من تقابل الانسان والطبيعة . انها همزة الوصل التي اكتشفها الانسان لتجبر الطبيعة على ان تصبح انسانية بمنع الانسان عن ان يصبح مادياً . فحيثما ينعدم العلم وتطبيقه يبقى الانسان ملتصقاً بالطبيعة الخالية من كل بصيرة ، فينتهي به الامر الى تقليد حركاتها كأنها ساحر يسيّره ، ولكن الساحر هنا مقدس ، اذ ان اللاهوت والتجريبية تآمرا لاستعباد الانسان .

وان سوء استعمال الآلة وحده هو الذي اضل الغرب . ولكننا في الشرق لا نزال بعيدين كل البعد عن هذا الخطر ، وليس الخطر الذي يهددنا هو في سيادة الآلة ولكن في ان نكتفي بتقليد الآلية الغربية دون ان نقوم بالمجهود المقابل الذي تفترضه .

ولكننا مع الاسف استجبنا لهذا الاغراء في اكثر من حالة . الا انه ليس ما هو اشد تأخيراً لتقدم العقل من الانتفاع بالنتائج التي وصل اليها الغير دون ان نستحقها ، اذ ان الجمود الفكري يأتي اذ ذاك فينضم الى الجمود الخلقي الناتج عن طمأنينة خداعة .

الا ان التقدم الفني في العلم والصناعة يعلمنا الدقة في الحكم والالتفات الى الواقع واحكام المقاييس والبحث عن اليقين وتقدير المجهود حسب الانتاج لا حسب الوهم ، اي كل هذه الصفات التي تكوّن ما يسمى الخطة او المنهج كما سبق ان قلنا ، والتي تعتبر عقلية بقدر ما هي خلقية .

ولكن الامر لا يقف عند هذا الحد ، فتطبيق العلم العملي يطلعنا على ثروات جديدة للكون ، فيضاف بذلك الى الثروة الطبيعية التي لا تزال مجهولة ثروة اصطناعية من عمل الانسان

في أول تشرين الأول
يصدر كتاب
الايدي النظيفة
بقلم
سعيد حسن الصايغ

نفسه ، وهكذا يضاف الى الاشكال التي استئنست منذ عهد بعيد اشكال اخترعها الانسان اختراعاً . تأملوا هذا الامـــر وهو ان حضارة اليوم تتطلب من الانسان ان يعيش في عالم يكاد يكون كله من صنعه . وكما ان الانهار ترفعها الامطار الغزيرة ، كذلك ارتقى فيض العقل بالطبيعة الى مستوى اعلى ، فقد جاءت طبقة طبيعية افرزها الرجل فغطت الطبقة القديمة ، كأن تاريخ طبقات الارض وجد له امتداداً في تاريخ الانسان . ويقول ماركس بهذا المعنى « ان الطبيعة بنت التاريخ » .

فهناك مثلاً من يريد تجديـــد اللغة العربية بوضع كلمات جديدة تطابق الاكتشافات المستجدة . وانهـــم على حق ، ولكن اللغة لا تتقدم بوضع مصطلحات نفرضها فرضاً ولكن باستعمال الالفاظ ، واستعمال الالفاظ هذا خاضع بـــدوره لاستعمال مدلولات هذه الالفاظ .

ولم لا نضيف ايضاً الى موضوعات الشعر التي الفناها هذه الشاعرية التي توحي بها اعمال الحضـارة ، من شاعرية الموانيء تجول خلالها السفن بما تحمله من معاني الشوق الى اراضٍ بعيدة ، والمصانع التي تحف بها اطرافها المعدنية كاجنحة النحل الدائب على العمل حول خلاياه ، والمحطات التي تنطلق منها القطارات فلا تعود ، والمدن التي تسيل عليها الاضواء سيلاً فلا يجد فيها الحزن مـلاذاً الا السكرة التي تفيض عنها ، والارياف وقـد ايقظها ازيز الطائرات وسط الظلام ، كأنه يدعوها الى حيـاة اقوى . واخيراً شاعرية النهائي واللانهائي ، شاعرية العقل والمادة ، وهي لا تعدو ان تكون تحويلاً حديثاً جريئاً للنقوش العربية والفسيفساء .

واني اعلم ان فريقاً من شباب الشعراء لبنانيين وعراقيين وسوريين شرعوا في ذلك فابدوا استعداداً باهراً له ، واننـــا ننتظر منهم عالماً شعرياً جديداً يتناسب ورجل اليوم ، ولعله من الخير ان يستمدوا صور شعرهم وقواعده واوزانه من حركة عالمنا الجديد ، بدلاً من ان يستمدوها من القواعد المتوارثة التي تبدو بالية عندما نحاول التعبير بها عن المشاعر التي جدت علينـــا .

النقد الفلسفي للشخص البشري

وان ما قلناه عن صلة الانسان بالطبيعة يصح ايضـــاً بالحس الجماعي .

« التتمة على الصفحة ٦٨ »

قصة امي

« الآن يا أماه ، وبعد سنين من المأساة أدركت قصتنا »

•

أأنسى هنالك عبر الحدودْ ؟ شهيداً يهوّم عبر الوجودْ
جماجم قومي بوجهٍ نبي
وقصةَ أمي ... *
التي مزقتها حرابُ اليهودْ وتصمت أمي ... وفي صمتها
* يضل خيالي الصبي
على شرفةِ المنزلِ الحالمِ وأسأل نفسي عن عهدها
وفي حقلنا الأخضرِ « لماذا تقول : ستلقى أبي
يهيمُ الضبابُ الطري *
وتشردُ أمي وتمضي سنون
وفي نفسها وأبعد وحديَ عبر الحدود
بقايا غرام قديمْ وراء «الشريعة» (١) عبر الحدود
لذاك الذي من عيوني يُطلْ وتمكث أميَ في أرضنا
ويرقص ظل ويشحب ظلْ لتدفع عنها الغزاة اليهود
على وجهها *
وتحنو عليْ أأنسى هنالك عبر الحدود ؟
لتروي إليْ : جماجم قومي
« وعبر الفراغ صدى صوتها وقصة أمي ...
يزيح السائر عن أمسها » التي مزقتها حراب اليهود
وأشعر أني صبي يتيم
ويبدو أبي

محمد المقداد

(١) نهر الأردن

الأدب العربي الحديث بين الازمة والتقدم

– التتمة من الصفحة ٣٢ –

فلقد ابقته الخبرية واللاهوت في طور الطفولة. ويعود السبب في ذلك هنا الى انعدام الفلسفة اكثر منه الى انعدام العلم .

ليست الجماعة ، عندما يحركها الفكر الناقد، خليطاً بسيطاً من الاعضاء الذين يؤلفونها بل هي اتحاد اشخاص مستقلين ، يعون شخصيتهم ويعملون بارادة حرة لخير المجموع . آنذاك تعرف الجماعة مجرد وجودها وتعرف وسط الامم رسالتها الزمنية والروحية . انها تحقق مساهمة الفرد في الخير العام وتحدد مهمة الرجل والمرأة ، كما تعطي العامل ولرجلي الفكر والفن حظهم في الحياة . وينتج من ذلك في النهاية ديمقراطية صحيحة يعيش في ظلها اشخاص احرار يحملون الى ذلك تبعة مصير المجموع .

غير ان كل هذا منوط بنقد فلسفي للشخص البشري ، لواجباته وحقوقه . ولمساهمته مع الغير . وحالما يفتقد هذا النقد تتحول الجماعة الى خليط مبهم ، خليط افراد لا حدود لهم . ويبدأ ذلك بالعائلة حيث ينظر الى المرأة لا بالنسبة لشخصيتها بل بالنسبة الى الرجل والى وظيفة التناسل، ثم بالولد الذي تضحى شخصيته لمصلحة العائلة . ويتفاقم الامر في سياسة الاحزاب التي تتكون حول مصالح انانية تسعى وراءها فئة او فرد ، بمعزل تام عن المصلحة العامة . ان انقلابا يحصل في جو كهذا يبدل مصالح من مصالح دون ان يحقق اصلاح معطيات الديمقراطية الحقة . وتبقى الطبقات الاجتماعية قائمة على الثروة لا على مساهمة الفرد الاصلية في الدولة . وتظل الامة اخيراً تفتش عن رسالتها دون جدوى مترددة بين الاتفاقات الاقتصادية المحضة (التي هي فوز الخبرية) وبين الاتفاقات الدينية المحضة (وهي فوز النزعة الدينية) .

ان هذا الجو من البلبلة وانعدام الحرية الصحيحة يقتل في الجنين نوابغ الفكر والفن .

انه مجال واسع للعمل امام مفكري السياسة عندنا وامام كتاب القصة والمأساة ، ومنتجي الافلام السينمائية ، مأساة المرأة المقيدة ، والولد ضحية التقليد ، مأساة النزعة الجنسية الشرقية في بلبلتها امام النزعة الجنسية في الغرب، مأساة الحزب يسحق العضو المنضوي اليه ، والجندي الذي يقاتل لسبب يجهله ، مأساة الفنانين والكتّاب الذين يجدون في الخارج شروط خلق وانتاج لا تتوفر لهم في بلادهم ، كلها مواضيع خصبة يمكن ان تنهل من معينها القصة والمسرحية والافلام السينمائية .

وهي هذه المواضيع التي ألهمت طه حسين وميخائيل نعيمه وتوفيق الحكيم وتيمور ، وبين الشباب سعيد عقل وسهيل ادريس وغيرهما . وبسبب تغاضينا عن ان نتبين اسباب ضعفنا، فلا يزال عدد المفكرين ضئيلاً ، هؤلاء الذين يتناولون بالبحث هذه المواضيع التي يجب ان تشمل جو الثقافة العام .

المحنة القريبة

ولن اسهب في بحث النقطتين الاخيرتين ، النزعة الدينية

صدر حديثاً

ادباء الطليعة

عرض تفصيلي لنتاج ادباء الطليعة في العالم امثال :

دوريس ليسنج —	جورجي كاراسلافوف
بابلو نيرودا	هوارد فاست
ستيفن هايم	آنا سيجرز
هالدور لاكسنيس —	نيقولا جيجرز
مولك راح اناند	كاو يو باو

الثمن ليرة — دار الشرق الجديد

توزيع المكتب التجاري

ومقياس الانسان الشرقي ، لان ذلك يستوجب وقتاً طويلا .

اما فيما يختص بالنزعة الدينية فاننا بدأنا نرى الايمان عند كثير من الجماعات المتوزعة في بلادنا ، يفقد كل صلة بالعقل فيجد نفسه وحيداً لا وسيلة له للدفاع ، امام النقد الفلسفي والنجاح العلمي . لا اعرف اذا كنتم تشعرون ، مثلي ، بالمأساة التي يعيشها الشباب الاسلامي والمسيحي معا ، هذا الشباب الذي لا يحمل من الدين الا اسمه .

وان رواج الفلسفات الشيوعية والوجودية — وهو رواج خادع اذ ليس مرده ، عندنا حالات النفس التي ساعدت على ولادة هذه الحركات في الغرب — ان هذا الرواج اذن ، قد استفاد من انعدام اللاهوتيين والفلاسفة الشرقيين اكثر مما استفاد من الاسباب الجوهرية التي تميز الفلسفة الشيوعية او الوجودية . وليس ما يثير دهشتنا ايضاً ان نرى الحركات الاكثر صلة بالدين تنيه عن اهدافها الدينية سعياً وراء اهداف سياسية ، غير مميزة بين الروحية والزمنية . لذلك فاني اتوقع للشرق الادنى في وقت قريب ازمة إلحاد لامثيل لها في التاريخ الشرقي ، سوف تؤدي الى مالا تحمد عقباه .

وفيما يخص النقطة الأخيرة ، فقد قلنا في بداية محاضرتنا ان الانسان الشرقي يمتاز عن الغربي في موقفه من الكون والزمن . ولكن هذا الامتياز ، بنظري لن يدوم طويلا ، فسيشعر الشرقي قريباً بانه غريب حتى في وطنه ، وهو ، بوراثته فلسفة غير فلسفته ، وبتقليده حضارة لم يبعثها هو ، سيجد نفسه في جو عقلي وفي اطار حضارة لم يساهم نبوغه كفاية في خلقهما . وتجد نفسها الكتل الاجتماعية التي تروعها عدالة اجتماعية تنظر اليها وكأنها غريبة وعالم يبدو لها غريبا ، مهددة بالانحلال فتقع على نفسها بعد ان تكون قد فشلت في التوازن المنشود .

*

الازمة التاريخية ومسؤولية الشباب

بقي عليّ ان اختتم ولا يسعني سوى الاعتذار عن الاطالة عليكم . لا شك بانكم عرفتم الآن لماذا تحمل محاضرتي عنوان « الادب العربي الحديث بين الازمة والتقدم » . فاذا كنا قد احرزنا تقدما جزئيا بفضل موهبة بعض المفكرين والكتاب ، فهذا لا يعني اننا على وشك ان نتخلص من ازمتنا . نحن امام ازمة تاريخية لا يخرجنا منها المجهود المنعزل الذي يقوم به افراد معدودون . ان ما يتحتم القيام به بعث العامة من الشعب . ولن يتم هذا البعث الا اذا ساعدنا هذه العامة على التحرر من قبضة الجبرية واللاهوت . ولكن حذار ، فلست اعني انه يجب الاستغناء عن درجتي المعرفة هاتين ، بل يجب ان ندخل بينهما العلم والفلسفة .

وليس اكثر اثباتاً لصحة ما اقول من مشكلة اللغة العربية . فهي اداة للثقافة يجب ان ترقى على درجات المعرفة الاربع . ولكنها تجد نفسها هي ايضاً متجاذبة بين الجبرية واللاهوت . وهذا ما يشرح انشقاقها الى قسمين : لغة عامية ولغة ادبية كطرقي جرح لا يلتئمان . وهو هذا الجرح الذي تئن منه ثقافتنا . لذلك يجب ان نرحب بسرور بجهود بعض الافراد كالشيخ عبد الله العلايلي ومعجمه الجديد ، وبعض المؤسسات كدار المنشورات العربية التي اعلنت في باريس عن عزمها على اصدار اللاروس بالعربية مع احرف طباعية جديدة . وان مشروع الجامعة اللبنانية في اصدار دائرة للمعارف يفتح امامنا افاقاً جميلة . ولكنه يجب الا يغيب عن بالنا ان الهامّ في كل ذلك ليس في ابتداع الكلمات ولا في تحسين اداة الثقافة بل في تغذية هذه الثقافة نفسها التي تضمن بدورها تحسين اداتها . فلن اتردد اذن والحالة هذه في توجيه شكر علني للصحافة العربية . فهي التي تغذي منذ قرون ثقافتنا وهي باتصالها الدائم بالعلوم والفلسفة العالمية قد سدت الفراغ القائم بين الجبرية واللاهوت ، ومن معينها يجب ان ينهل جميع المشتغلين في المعاجم اصطلاحاتهم الجديدة التي تتناقلها الالسن .

لقد تعدت الصحف اليومية والمجلات دورها الاخباري لتكون اداة ثقافة حقة . بيد انها لم تقم بدورها الاستثنائي ، هذا إلا لسبب انعدام العلماء والفلاسفة ، فهؤلاء هم المسؤولون الحقيقيون عن ازمتنا التي هي اعمق من ان تكون ازمة سياسية . ومن هنا يجب ان ننظر الى الحل والدواء هذا اذا اتتهم الجرأة الكافية ليفهموا ان الازمات التاريخية تفرض حلولاً تاريخية طويلة المدى . وكل توانٍ في هذا المضمار فجيعة لانه يضيف الى المصاعب القديمة مشكلات جديدة لا تبرح ان يستعصي حلها .

وهذا ما يجعلنا نتوجه الى الشباب الطالع لنقول له انه يحمل من وراء العتمة ، تبعة انبلاج الفجر . ففي مستقبله مشرقنا الحقيقي .

وينه حبشي